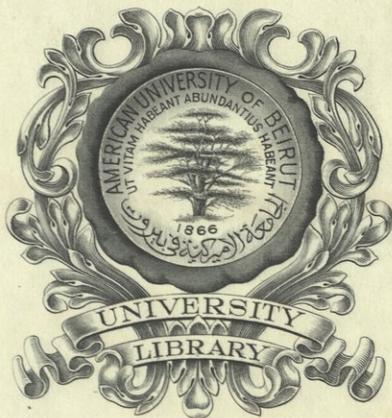


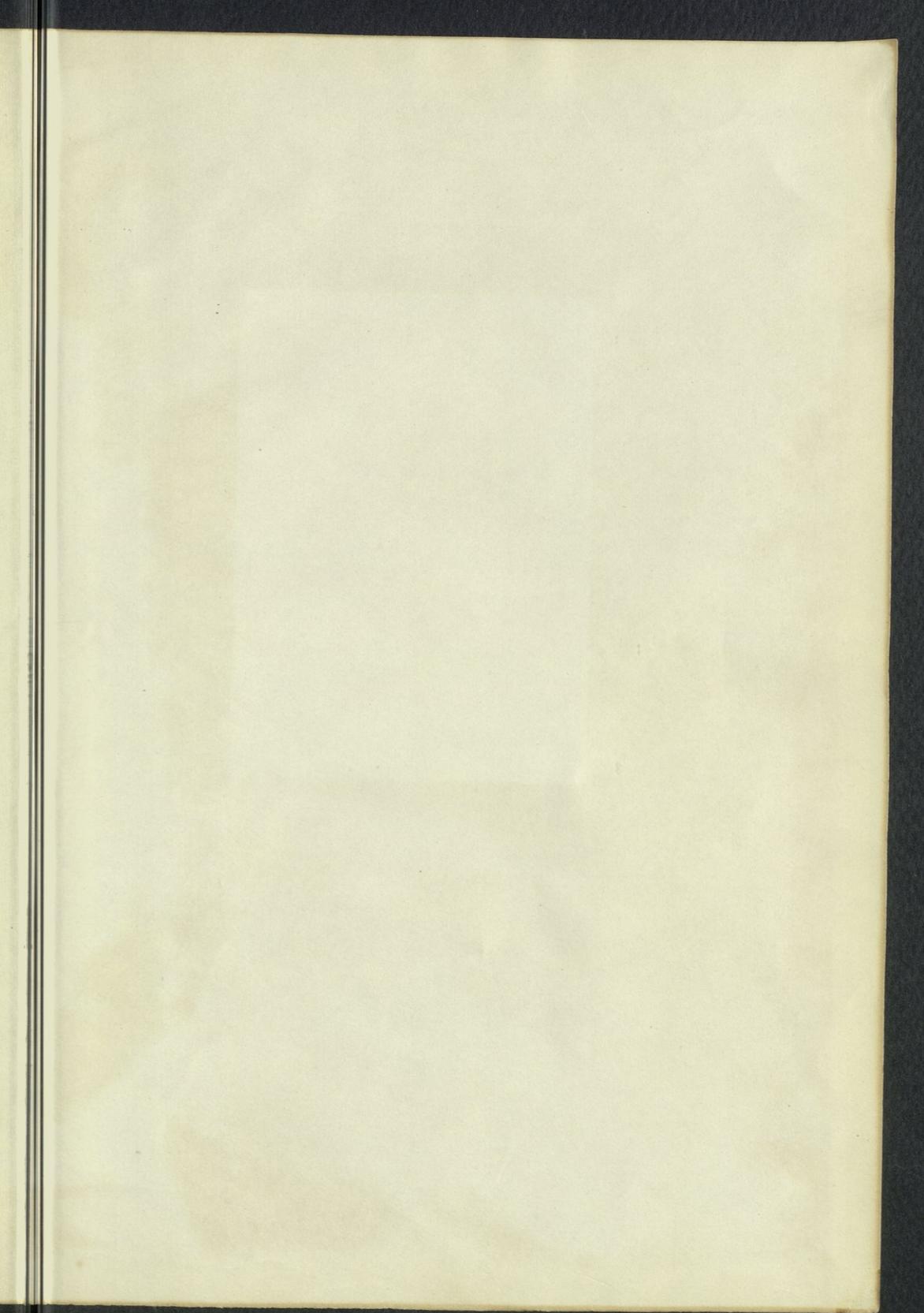
دير افون

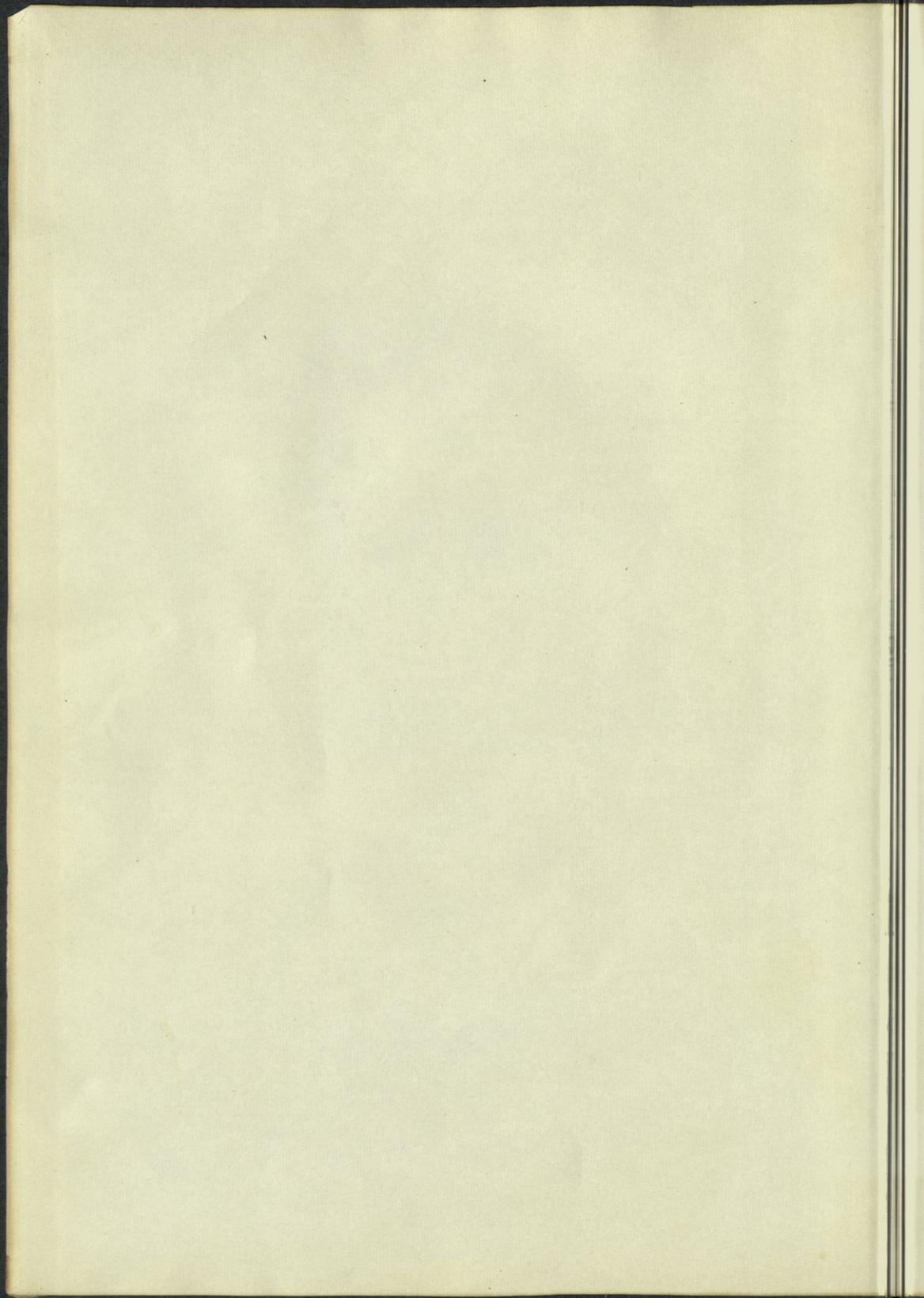
نبذة عن تاريخ البلاد السورية

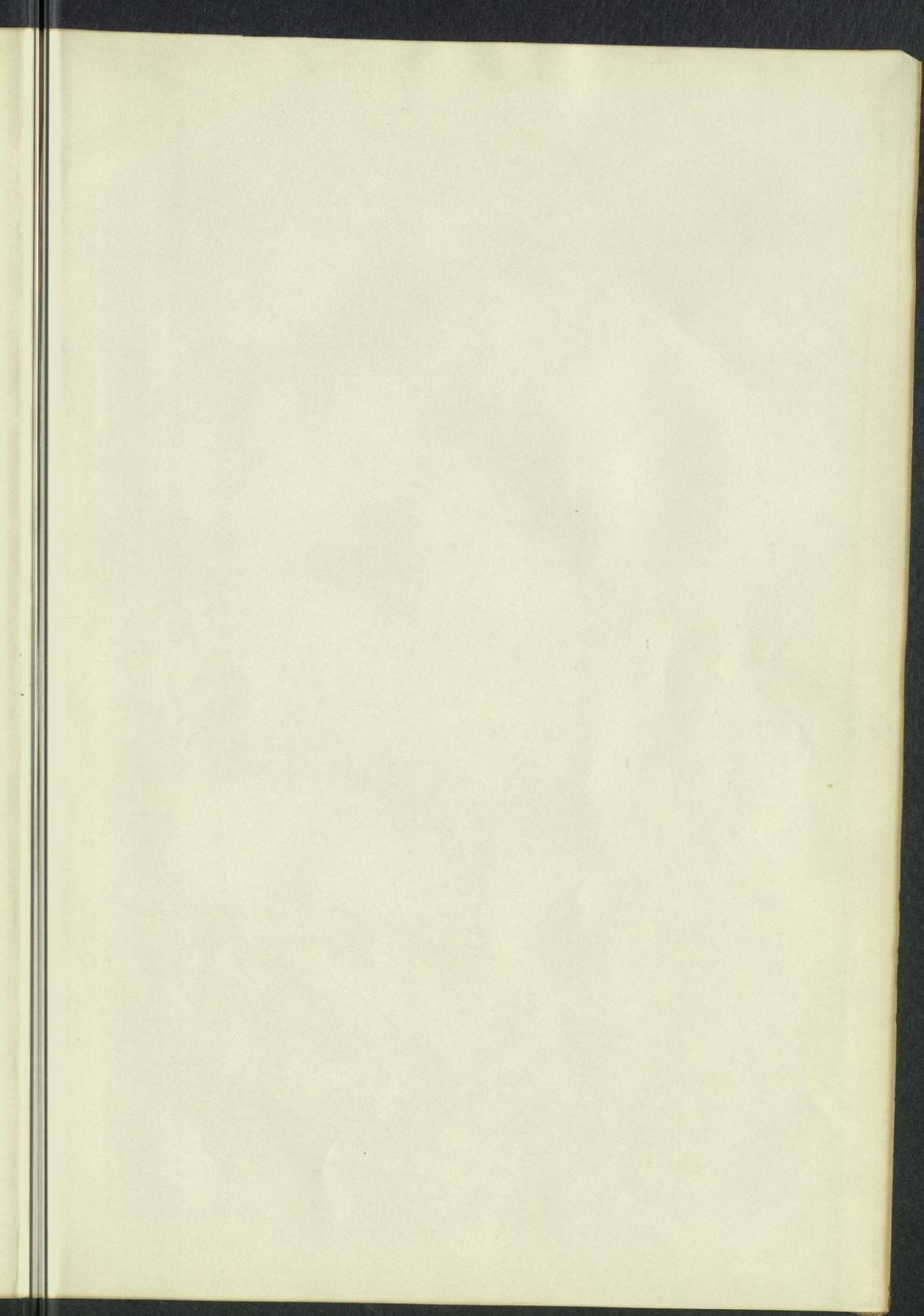
AMERICAN
UNIVERSITY OF
BEIRUT

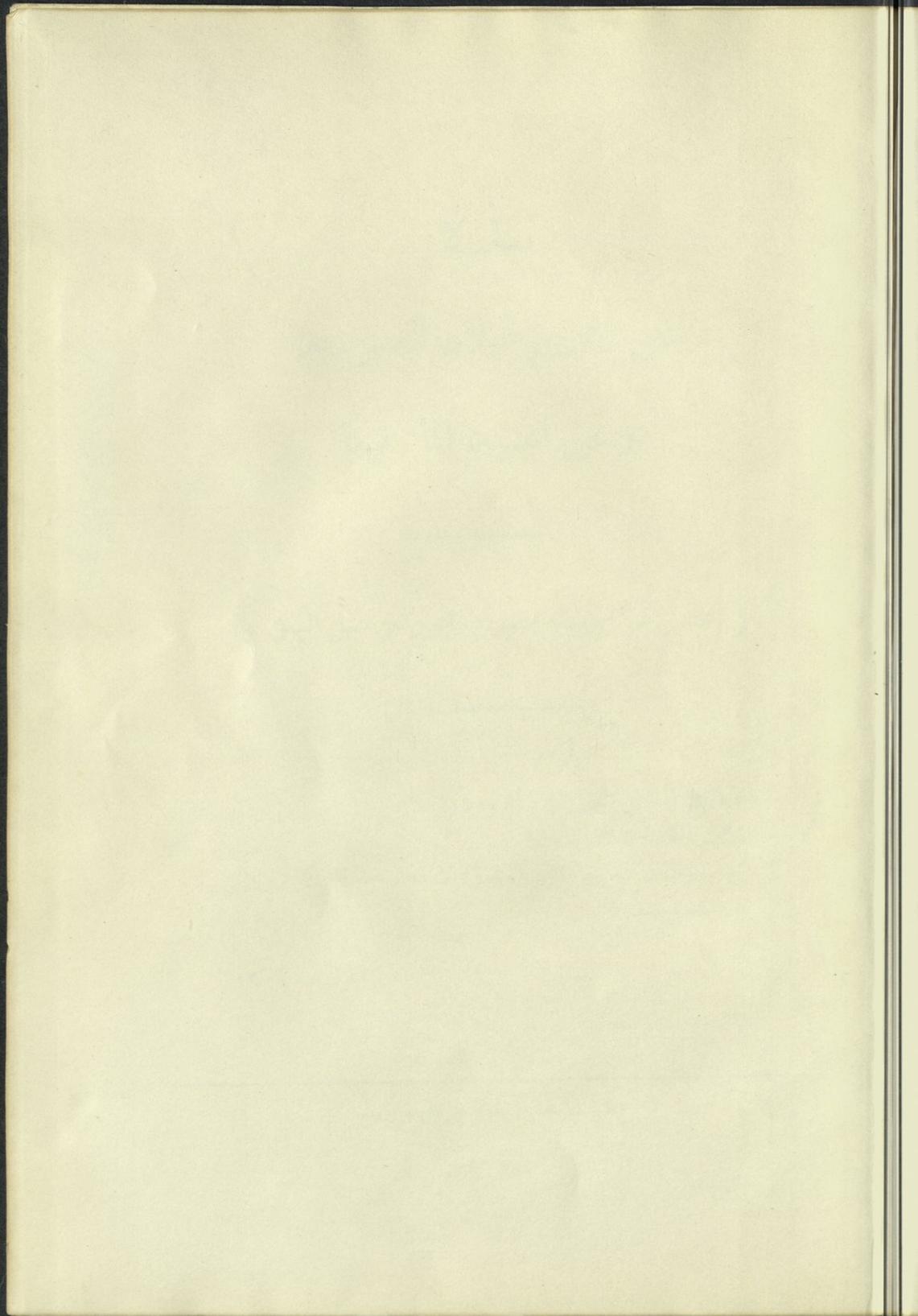


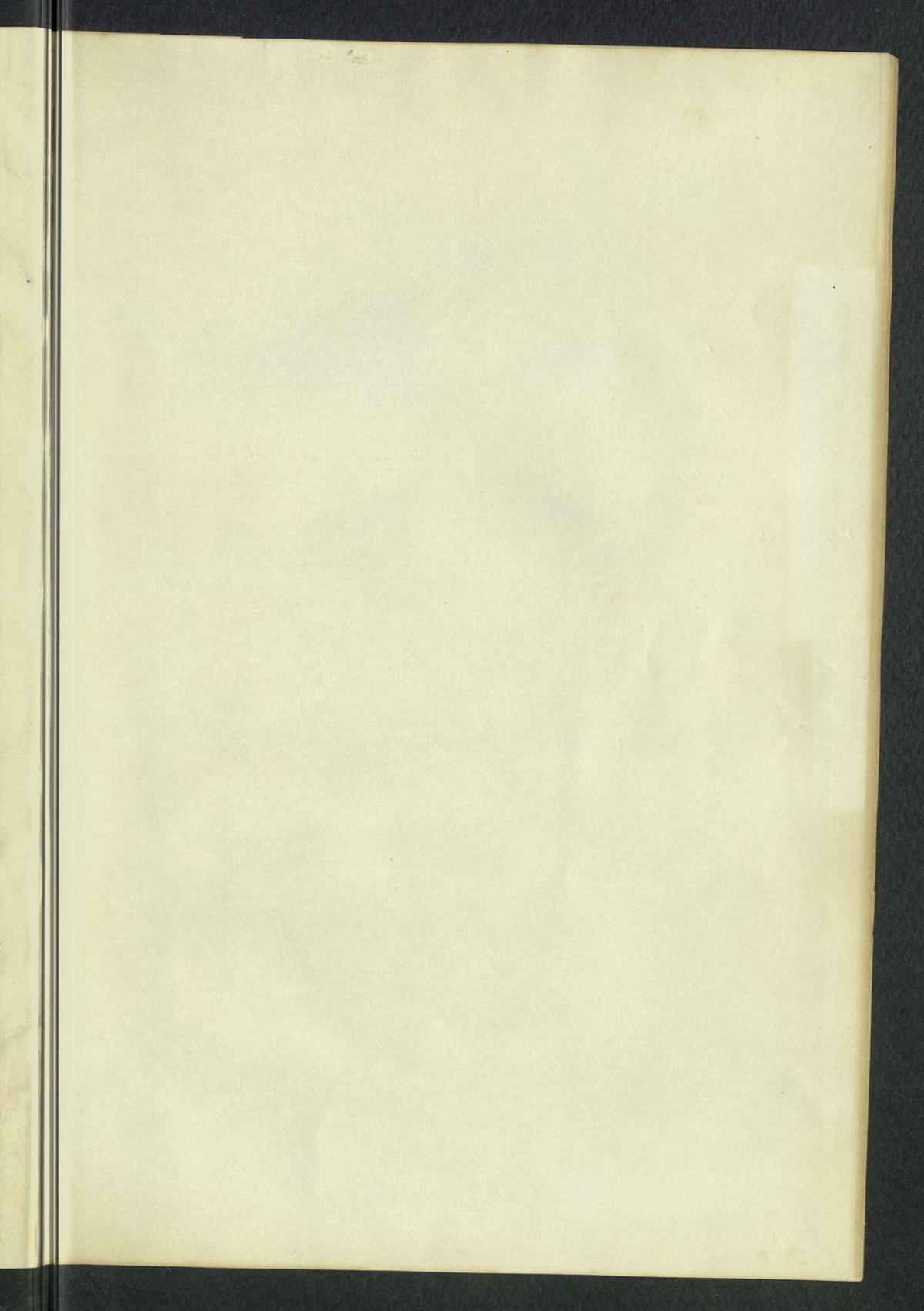
تجليد صالح الدقر
٢٢٩٧ تلفون











نبذة

عن تاريخ البلاد السورية

وعن أهمية الماء فيها

﴿ مختصر تقرير وضعه مسيو ديرا فور عن سهل العمق ﴾^٨

- ١ — اعتبارات عامة في اصل البلاد السورية
- ٢ — الميزات الخاصة للبلاد السورية
- ١ — ما وصلت اليه سوريا من العظمة والازدهار ايام الحكم الروماني
- ب — الماء في سوريا

ايلول سنة ١٩٢٨

١٨٨٤
١٨٨٤

١٨٨٤

بسم الله الرحمن الرحيم
الحمد لله رب العالمين
والصلاة والسلام على
سيدنا محمد وآله الطيبين
الطاهرين



(١)
بلا
ج
ال
ث
أ
م

الفصل الاول

﴿ لمحة عامة في سوريا ﴾

(١) — في اصل البلاد السورية

قال غوستاف لوبون :

« هل العالم حقيقي او غير حقيقي ، متناه او غير متناه »
« مخلوق او غير مخلوق ، زائل او ابدى ، فلا نرى الوقت »
« الذي يستطيع به العلم ان يحجب حتى على واحدة من »
« هذه المسائل . »

ان سوريا الواقعة من البحر المتوسط على الساحل الشرقي منه تؤلف بلاداً يقتضى لوصف جبالها طريقة خاصة يميزها في الجهة الساحلية منها سلسلة جبال طويلة واقعة تقريباً من الجنوب الشمالي مطلة من الغرب على البحر ومن الشرق على منخفض من الارض يقوم في الجانب الشرقي منه سلسلة جبال ثانية لها موقع الاولى ولكنها دون تلك اتساعاً. وما يلي هذا المنخفض من الجهة الشرقية صحراء واسعة متحدة الى القرات وما بين النهرين.

١ — فسلسلة الجبال القائمة على الشاطئ مؤلفة من الجنوب الى الشمال من جبال اليهودية والسامرة والجليل ولبنان ومن جبال النصيرية وجبل

اللطام «Amanus» وفيها ثلاث فجوات عرضية من نوع ذلك المنخفض لكنها اقدم عهداً تنفتح الى الداخل فتؤلف سبل مواصلات طبيعية بين الساحل وما يليه من البلاد وهي : سهل شارون «Esdrelon» ومضيقا حمص وانطاكية. فسهل شارون في فلسطين واقع تحت الانتداب البريطاني وهو يمتد من خليج عكا ويتصل بوادي الاردن. ومضيق حمص هو عبارة عن منخفض من الارض واقع بين تخوم جبل لبنان وجبال النصيرية ويمتد من سهل عكار حتى يتصل بحوض البقعة وبلاد حمص. ومضيق انطاكية يمر ضيق يصل ميناء السويدية القديم المهجور اليوم بانطاكية وسهول شمالي سوريا الغنية. وفي هذا المضيق تسيل مياه العاصي فتصب في البحر.

ب — اما المنخفض الارضي فهو عبارة عن واد او خندق كبير مستطيل يجتاز سوريا ويحده البحر الميت الذي يبلغ عمقه ٧٠٠ متراً تحت سطح البحر ووادي غور الاردن وبحيرة طبريا الواقعة على ٢١٠ امتار تحت سطح البحر وسهلة الحولة وسهل البقاع واودية العاصي والغاب والعمق وقره صو.

ج — وتؤلف سلسلة الجبال الواقعة شرقي هذا المنخفض من تلال وجبال موآب وعجلون وحرمون وآتي لبيان.

— اما هيئة هذه الجبال فناتئة ووديانها ضيقة ومعابرها عميقة متلازمة

وذلك ما يدل على انها حديثة العهد . فشقوقها البارزة تدل صراحة على قرب عهدها . وما قلة تأثير المياه على هذه التتوء الا برهان على حداثة تكيفها هكذا . فان كتبة ومؤرخين يرجعونها الى ما بعد زمن ارتفاع جبال الالب .

ومثل تاريخ البلدان المحاذة للبحر المتوسط تاريخ جبال سوريا فانه يرجع الى عهد الانخفاضات التي نشأ عنها البحر المتوسط واهم دور فيها انخفاض التيرينيد «Thyrrhénide» وآثار هذه الانخفاضات واضحة ظاهرة على طول الشواطئ السورية خاصة في الشمال حيث سلسلة جبال اللطام التي هي جزء من منحدرات جبل طورس والتي تؤلف شبه قوس ينصب عمودياً في البحر ليظهر ثانية في جزائر قبرص وكريت وسواهما .

وسبب هذه الانخفاضات انفجار بركاني يرجع الى عصور التاريخ الاولى ولا تزال آثاره ظاهرة في البراكين المنطقمة التي يجدها شرقي بحيرة طبريا وفي حوران حيث يمكن تتبع حركة تطور الفوهات البركانية على تعدد الازمان وفي مضيق حمص حيث حوض البقيعه الذي هو فوهة بركانية واسعة . فتفكك القشرة الارضية ينشأ عن هياج الحركة البركانية وذلك ما سبب النواتج الظاهرة في السهول الواقعة شرقي نهر الاردن وفي جبل حوران نفسه (جبل الدروز) . وهكذا نشأ أيضاً الانخفاض

العرضي في سلسلة الجبال الساحلية في بلاد حمص .
اما الطبقة الواقعة تحت الارض فهي مؤلفة من بقايا مترakمة لفضها
البحر في العهد الثاني لم يطرأ عليها تعاريج مميزة ولكنها باجمعها تنحني نحو
الشرق او نحو الغرب من يمين الخط النصفى وشماله الناشئ عن الانخفاض
الارضى المار ذكره والذي يرجع عهده الى العصر الثالث والى اول عصرنا
هذا . وما اطراف الخطوط المستقيمة الظاهرة في اودية الغور والغاب
وسواهما الا من آثار هذا الانخفاض .

ونذكر بهذه المناسبة ان سوريا واقعه من الكرة الارضية في البقعة
الاكثر تأثراً من حيث الهزات الارضية ويدل تاريخها دلالة ظاهرة على
ذلك وآخر هزة جرت فيها في سنة ١٨٧٢ اي منذ نحو من نصف قرن
دمرت فيها مدينه انطاكية .^(١)

فسوريا واقعه على قوسين هما عرضة للهزات الارضية . واولهما
يبتدىء من اميركا (فيمر في سهول اميركا الوسطى وفي سلسلة جبال بوليفيا
والبيرو) ثم يجتاز الاوقيانوس الاطلنطىكي (حيث خسفت على قول الرواة
الثلثيد بلا تون) ثم البحر المتوسط بين افريقيا واوروبا (حيث غارت التيرينيد)

(١) تهدمت انطاكية من جراء الهزات الارضية مرات عديدة في العصور القديمة خاصة
في سني ٤٤٧ و ٤٥٨ و ٤٩٤ و ٥٢٥ و ٥٢٨ . وقد ذهب ضحيتها في السنة الاخيرة
١٢٠٠٠ نفساً في انطاكية وما يجاورها من البلدان .

فيلتقي في اسيا الوسطى شمالي البلاد السورية بالقوس الثاني الواقع في الجنوب الشرقي والذي يحده البحر الميت ووادي الاردن وسهل البقاع وسواها ثم بالمنطقة البركانية الممتدة من ارمينيا الى النيل.

ويدل شكل البلاد السورية والشقوق الجبلية التي تزال ظاهرة كما بينا آنفاً ان المياه فيها لا تزال في اول عهد تكونها وانها لم تكتسب حتى الان شكلاً دائماً. فلا تفتأ الارض تهتز وترتج فتبقى في النفوس خوفاً ووجلاً من ان تهدم البلاد كما جرى في الماضي لانها باقية تحت تأثير التفكك الارضي الذي جرى في العصر الثالث والذي اكسب الكرة هيئتها الجغرافية الحاضرة.

ويقول بعض علماء الارض ان الجبال في سوريا تزول على مدى الايام ويمكنهم ان يعينوا الوقت اللازم لزوال بعضها من حيث تأثير المياه عليها دون ان يأتوا على ذكر الهزات الارضية التي يمكن ان تغير شكل البلاد بوضع دقائق فكما ان سوريا كانت على ممر الاجيال عرضة لغزوات الشرقيين والغربيين فانها عرضة ايضاً للهزات الارضية.

الا اننا لا نستطيع ان نعين الوقت الذي يمكن به حدوث هذه الهزات ولا ان نبين اسبابها وذلك افضل لنا لانه لو امكننا ذلك لقلقت افكارنا ولقلنا كما قال الفيلسوف الالماني (شوبنهاور): «فلتصور شيطاناً

خالقاً وبمحق نقول له بعد ان تزيه مخلوقاته : كيف جرأت ان تمنع عن العدم
راحته وسكونه لتخلق هذه المصائب والمحن .»

وحيث ان تفكك الصخور يجري بصورة بطيئة فان بعض السهول
خاصة سهل البقيعة خصبت خصباً نادراً . وهكذا ، فان سهولا غيره
كسهول الغاب والعمق وسواهما تبشر بازدهار كثير ولكن يلزم لذلك
اعمال الري والتجفيف كما سنينها في هذا التقرير.



الش
تزا
اند
است
والا

الفصل الثاني

٢ — بعض مميزات البلاد السورية

قال غوستاف لوبون :

« ان الخطب والمحاضرات حتى والشرائع لا يمكنها ان »
« تحارب الضائقات الاقتصادية التي تشد على العالم الخناق »
« فاما ان نخضع لها او ان نفى ».

١ — ما وصلت اليه سوريا من العظمة والازدهار ايام الحكم الروماني

كانت البلاد السورية فيما مضى زاهرة زاهية وكانت مطمح انظار الشعوب المجاورة يدلك على ذلك تلك الجسور والاقنية والجواجز التي لا تزال آثارها قائمة والتي ترجع الى العهدين اليوناني والروماني الا انها اندثرت اليوم بعد المصائب والغزوات والمحن التي حلت بها.

ولما استتب فيها الامر للرومان انصرف الناس الى الزراعة والى استثمار المياه فازدهرت البلاد بعد ان كانت قاعاً وبعد ان كان السلب والاستعباد سائدين فيها.

ومن المأثور عن حكومة روما في ذلك العهد انها اذا رغبت او

اضطرت للتدخل في شؤون احد البلدان حصرت همها في تحسين الارض
الزراعية وفي تعيين عدد السكان لتضمن لهم سبل المعيشة. وبالرغم من ان
سوريا لم تكن تؤلف جزءاً من الدولة الرومانية بل كانت خاضعة لسلطتها
فقط وصلت في ذلك العهد الى ذروة المجد والثروة. فكان يحكمها
قنصل روماني تاركا للشعوب حرية اعتقادها الديني وهي الصلة الوحيدة
بين الاهلين وارضهم حيث آلهتهم ومعابدهم. وكثر عدد الرومان في
هذه البلاد ومنهم اصحاب المجد العريق والقضاة والحكام والجنود
والمهندسون فامتازوا ببطولتهم وجهم للمجد وخاصة بخوفهم الالهة.
فالروماني كان يعرف كيف يحكم وينظم في وقت واحد.

فيجب علينا ان نتمشى هنا على هذه الخطة وان نكرس لها عبادة
خاصة وان نحارب الطبيعة وكسل الاهالي معاً. ولندكر بهذه المناسبة ما
قاله الشاعر اللاتيني فيرجيل : « انت ايها الروماني ، اذكر دائماً ان عليك
اخضاع الشعوب لحكمك ولشرائعك السلمية ». وقد تغنت بهذه
الاقوال شعوب كثيرة مدى اجيال طويلة.

فيلزم اذاً لازدهار البلاد السورية ان نواظب على عمل دائم مستمر
لان علينا صعوبات كثيرة يجب اجتيازها. فقد كان انصراف الناس للسياسة
التي هي شغل البلاد الشاغل السبب الوحيد في سوء الحالة الاقتصادية .

فعلينا ان نهتم بالزراعة فقط التي تدر على سوريا بالخير العميم.
ومما لا ريب فيه انه اذا ارتكزت الحالة السياسية والادارية
ازدهرت الاعمال واتسعت واستفاد الاهلون وحولوا انظارهم نحو
المسائل الاقتصادية وتركوا جانباً السياسة ومساوءها التي لم تجر عليهم غير
الفقر والدمار.

٢ — الماء في سوريا

— ان ما بيناه في الفصل السابق عما وصلت اليه سوريا من الثروة في
العهد اليوناني-الروماني يدلنا على ان المياه هي من اهم الاسباب
لازدهار البلاد.

— يقال ان الشمس والرطوبة تولدان الزرع . ولذلك فان سوريا التي
يقبل فيها الشتاء يقتضي لها لتحسين زرعها ان تشرب ارضها كفاية . فيجب
علينا ان نسعى لايجاد المياه فيها وتوزيعها على الاراضي بطريقة اصطناعية.
فالاقدمون عرفوا اهمية ري الاراضي منذ الساعة الاولى ولذلك انشأت
حكومتا اسيريا والعجم اقنية عظيمة وسيلتا فيها مياه دجلة والفرات .
وأرخ سميراميس ما قاله اسكندر الاكبر لدى قراءته الكتاببة القديمة
على حدود سبتي :

« أجبرت الانهار ان تسيل حيث شئت ولم اشأ ان تسيل الا حيث

- وجدت ضرورة وجعلت الارض « خصبة بعد ان سقيتها من انهرى ».
- وقد استعمل كل من سيروس والاسكندر جيشه حفر الاقنية
- وكانت بلاد ما بين النهرين حتى احتلال المونغول والتتر الذين هدموا
- هذه الآثار غاباً متسعاً من الحضرة . ومصر ، الجارة المجاورة لسوريا ،
- ألا تسمى بحق هبة النيل ؟ فان المهندسين البريطانيين لم يعملوا شيئاً
- عظيماً فيها بل استبدلوا طريقة الري الموقت اثناء الفيض بطريقة اخرى
- دائمة وذلك بانشاء اقنية وحواجز للماء . او لم يستعمل الرومان الري ايضاً
- لتحسين البلاد ولزيادة الانتاج فيها ؟
- ومن الوجهة الاجتماعية ايضاً فان لري الاراضي منافع عظيمة .
- فيمكن معه تقسيم الارض فتزداد العناية بها ويكثر دخلها وهذه غوطة
- دمشق وبساتين حمص وحمه دليل ناطق على ذلك . فهي تخص جملة من
- الملاكين يسقونها من مياه بردى والعاصي ويعتنون بها كل الاعتناء
- ويكسبون منها فوق حاجتهم .
- وفي غربي الولايات المتحدة ، في الاراضي الناشفة (البور) او التي
- لا يصبها الماء كلها ، فان الري يدر على الملاكين الخير العميم . فقد كثر
- فيها عدد الاهالي وتمكنوا من استثمار الارض وتضاعفت ارباحهم
- مرات عديدة .

وبالنظر لاهمية المياه فيها اضطرت الحكومة ان تعين حقوق الملاكين في الماء لئلا يسيطر عليها الملاكون الكبار وتضحى المنفعة العامة في سبيل بعض المنافع الخاصة . واصدرت بتاريخ ١٧ حزيران سنة ١٩٠٢ قانوناً جاء فيه : « ان ما يحصل من بيع او استعمال الاراضي (البور) المشاعية في الولايات المتحدة يخصص لدرس وانشاء الاعمال اللازمة لتكثير وزيادة المياه لسقي الاراضي الاخرى . » فكان عمل الحكومة هذا سبباً هاماً في انعاش الزراعة وزيادة الانتاج وتحسين الارض مما لا يمكن للملاكين مهما بلغت ثروتهم القيام به . وآخر ما قامت به حكومة الولايات المتحدة في هذا السبيل انشاء الخزان العظيم الذي يسمى (سالت ريفر) او حاجز روزفلت والذي يحتوي على نحو من ١٦٠٠ مليون متر مكعب من الماء ويبلغ ارتفاعه ٩٥ متراً .

وقد استعملت لذلك الوسائط الفنية فقط طبقاً للشروط الجغرافية وغالباً ما اضطرت لتغيير مجاري الانهر والسواقي ولحصر الماء ولاقامة خزانات ولحفر آبار ارتوازية الخ...

وزيادة على ذلك ، ولتضمن الاهالي زيادة في الدخل والانتاج عادت فاشترت القطع الكبيرة من الارض وقسمتها الى قطع صغيرة مما سهل على الزراع استثمارها . وكان يفوق مدخول السنة الاولى في معظم

الاراضي المصاريف الاولية كلها. (١)

ومن جهة اخرى فان الري وحده يمكن ان يزيد عدد الزراع في البلاد وان يمنع عنهم الضائقة فلا يهجرون ارضهم في سني المحل والقيض وينحشرون في المدن الكبرى سعياً وراء عمل يسدون به الرمق.

والري ضروري جداً خاصة في الجهات الحارة كالهند مثلاً حيث بلغت اكلاف اعمال الري مليارين . واذكر ان في جهة واحدة منها اي في مقاطعة (الشنال) في ولاية (بنجاب) تجتاز قناة واحدة مسافة كبيرة من الارض كانت عقيمة وغير منتجة فاصبحت اليوم مزروعة على مساحة مليون ومائتي الف هكتار ويبلغ مدخول الحكومة من ذلك ١١ مليون في السنة اي ما يعادل ٢٣ بالمئة من اصل رأس المال المخصص لها . وتبلغ قيمة محصول الارض مائة مليون في السنة.

فيتضح مما تقدم اهمية المياه في البلدان الحارة والناشفة كسوريا مثلاً حيث يتقطع الشتاء مدة ثمانية او تسعة شهور اي حتى وقت البذار او ابعد من ذلك . فينبغي على اولي الامر ان يتمشوا على سياسة عاقلة رشيدة

(١) جاء في مؤلف رينه تافرنيه تحت عنوان : مهمة في الولايات المتحدة — تقرير الى مديرية مصلحة المياه والتحسينات الزراعية باريس ١٩٠٩ ما يلي : ان معدل دخل الاراضي المرورية في تلك السنة كان يتراوح بين ٢١٨ فرنكاً و ٨٢٨ عن كل هكتار والمعدل السنوي من ٢٥٨ الى ٤٨٧ فرنكاً

لوضع حد لهذه القضية الحيوية التي يتوقف عليها نحسين الزراعة و حياة
الاهالي.

لقد اضمحلت الثروة الاقتصادية في هذه البلاد . وكان السبب في
ذلك سوء التدبير وجهل الاهالي طرق الاستثمار فهجر الزراع حقوقهم
حتى ان مناطق زراعية كثيرة اصبحت لا زرع فيها ولا ضرع . فالحالة
تتطلب عناية زائدة خاصة اذا فاجأها القحط كما جرى ذلك مع الاسف
في المدة الاخيرة او اذا تسلطت على مزروعاتها هذه الآفة المحرقة وهي
حشرة السونة.

فالدواء الوحيد لهذه العلة هو الري . نعم انه يقتضي له مصاريف
كثيرة ومواظبة دائمة مستمرة لانه لا يمكن بسنة واحدة او ببضع سنين
كما يظن اهالي هذه البلاد ان تتم جميع الاعمال . الا انه يمكن المباشرة في
السنين الاولى باجراء اعمال اولية عامة كما عزمتم عليه حكومة العلويين
لان بهذه التجارب الاولى فائدة كبرى للفلاحين فيعتادون على ري
اراضيهم وتستعد البلاد للنهوض الاقتصادي الذي يبشرنا به مشروع الري.

ولا يسهى عن البال في هذه المناسبة ان المياه نادر وجودها في
سوريا. فنجاري الماء الصالحة للري قليلة ولكن توجد ينابيع كثيرة،

مياهها دائمة ، يمكن استعمالها هذه الغاية . وعلينا في بعض المحلات ان
نفتش على الخزانات التي كان بناها الرومان فنشئ مثلها لنجمع فيها المياه
ونوزعها بعدئذ . وما سوريا الا عبارة عن خزان واسع للمياه التي تسيل
من سهول ارمينيا ومن سلسلة جبال طوروس . وفي الطبقة تحت الارض
منها وعلى عمق قليل طبقة من المياه غزيرة ، فيمكننا حفر آبار ارتوازية
وتوسيع عملية الري بواسطة سحب المياه . وقد اجريت في حلب اعمال
من هذا النوع يمكن مشاهدة نتائجها النافعة في الجهتين الشرقية والجنوبية
الشرقية من هذه المدينة .

وبالنتيجة ، فنستطيع اذا نسجنا على منوال الرومان ودون ان نستعين
بمياه الفرات التي لا يمكننا استعمالها لموانع شتى دولية ولان بعض مياهها
مستعملة لري اراضي ما بين النهرين ان نستخدم مياه نهر العاصي التي
تنصب في البحر بدون فائدة .

ولا تزال حتى اليوم آثار الخزانات والاقنية التي بناها الرومان
ظاهرة ، فاذا انشأنا مثلها على طول هذا المجرى امكنا التأكيد ان
بالاستطاعة ري مساحة كبيرة من بلاد حمص وحمه ووادي الغاب
(حيث يمكن ري الاراضي من الينابيع التي يبلغ عددها ٥٤ والتي تتفجر
من عن اطراف العاصي على سفح جبال النصيرية الى الغرب وجبل الزاوية

الى الشرق والتي يبلغ وزن مياهها في فصل الشح^{٨٣} م).
وما يلي ذلك نحو الشمال يمكن تخفيف سهل العمق وري قسم
كبير منه.

هذا هو بصورة اجمالية برنامج الاعمال الاولية التي يمكن القيام بها
والتي تسعى اليه الحكومات لان اعمال المساحة وقياس الاراضي انتهت
في سهل العمق في سنة ٩٢٧ وفي وادي الغاب سنة ٩٢٨

* *

ان مهمة الدولة المتدبة كما ينص عليها صك الانتداب تتحصر في
التنظيم . وليس افضل من المشاريع الاقتصادية لاجياء البلاد وقد كانت
حتى الآن مهمة لانهمك اولى الامر بحل المعضلة السياسية . فالضائقة
المالية التي تجتازها هذه البلاد شديدة لان ليس لها من صادراتها ما يفي
باحتياجات الاهلين ومن الضروري وضع حد لها بزيادة الانتاج والا
فالخراب يهددها.

وفي ختام هذا الفصل اذكر كلمة قالها مجوني ظريف وهي ان معرفة
الجميل لبني البشر هي في البطن . اي ان الناس لا يحفظون جميلاً لاي

كان الا اذا كانت بطونهم ملاءى ، فالبطن الخاوي لا اذن له ، وليس
بالاقوال مهما كانت جميلة ، يمكن املاء البطون.

الامضاء : ديرافور

متعهد اشغال الكداسترو في حكومات
سوريا ولبنان والعلوين

A ce sujet encore, et pour clore ce chapitre où n'ont été ébauchées que des idées générales, je rappellerai simplement le mot d'un humoriste, qui était peut être aussi un fin psychologue, lequel disait que la meilleure reconnaissance que l'on pouvait espérer des êtres humains, était celle du ventre. En s'exprimant ainsi, cet habile plaisant voulait certainement exprimer que les bienfaits sont d'autant plus appréciés des hommes, qu'ils ont leur estomac plein, car ventre affamé, dit-on, n'a pas d'oreilles et ce n'est pas avec des paroles, si belles soient celles-ci, qu'on le remplit.

Monsieur C. DURAFFOURD, Régisseur des travaux
du cadastre et d'amélioration agricole des Etats de Syrie,
du Liban et des Alaouites.

Signé : DURAFFOURD



le plus important est le lac artificiel de Homs, il est évident que nous réussirions à irriguer une bonne partie des régions de Homs, de Hama et de la Vallée du Ghab (région dans laquelle l'irrigation des terres peut être effectuée en grande partie avec l'eau des 54 sources qui jaillissent de part et d'autre de l'Oronte, au pied de la chaîne des Ansarieh, à l'Ouest, et du massif de Zaouié, à l'Est, et dont le débit est à l'étiage de plus de $8m^3$).

Plus au Nord, la plaine de l'Amouk pourrait être asséchée et irriguée en grande partie. Tel est, dans ses grandes lignes, le programme de première urgence qui pourrait être adopté et auquel travaillent les Etats, puisque depuis quelques années déjà, les travaux du cadastre et de nivellement ont été poussés dans la région de l'Amouk (où ils ont été terminés en 1927) et de la Vallée du Ghab (où ils seront achevés fin 1928).

* * *

Le rôle de la nation mandataire consiste, dit la chartre du mandat, à *organiser*. Quelle meilleure solution pourrait-on lui donner en ouvrant carrément l'ère des réalisations économiques qui ont été laissées jusqu'ici au second plan en raison de l'acuité des problèmes politiques, dont le résultat est généralement décevant, parceque leurs conséquences ne peuvent être que lointaines. Or, ici, plus qu'ailleurs, on juge sur les réalisations positives, tangibles, qui se voient. En outre, la crise économique que traverse les pays non producteurs, touche profondément les pays Syriens et il est urgent d'apporter à cet égard, le seul remède possible à la catastrophe vers laquelle courent ces pays, dont la balance économique est déplorable, c'est-à-dire de l'adapter à une production plus intensive, ou sinon c'est la ruine et avec elle toute la suite des désastres sociaux.

pendant les premières années, commencer, comme va le faire sagement le Gouvernement de l'Etat des Alaouites, des travaux d'intérêt régional, voire même communal, car il convient d'aller au plus pressé et tout en prévoyant grand, c'est-à-dire en observant un plan d'ensemble, rien n'empêche d'entreprendre ces travaux partiels, qui habitueront les paysans aux cultures irriguées et prépareront ainsi l'essor que l'irrigation doit apporter aux pays syriens.

A ce sujet, il ne faut pas non plus se méprendre, car l'eau est relativement rare en Syrie, où nous comptons les cours d'eau susceptibles de ce preter à des aménagements pour pouvoir pratiquer l'irrigation pérenne, mais il existe de nombreuses sources à régime permanent qui pourraient être utilement utilisées et rien n'empêche, dans certaines régions, de rechercher les fogaras créés par les romains et d'en construire de nouveaux, pour recueillir les eaux de surface afin de les distribuer ensuite. D'autre part, il ne faut pas oublier que la Syrie est une sorte de vaste réservoir des eaux des plateaux d'Arménie et de la chaîne taurique et que son sous-sol renferme, à une profondeur relativement faible, une couche d'eau inépuisable, d'où la possibilité de créer des puits et d'étendre les irrigations par pompage. Déjà dans la région d'Alep, d'intéressants travaux de cette nature ont été effectués et on peut constater à l'Est et au Sud-Est de cette ville les résultats obtenus, qui sont simplement surprenants.

Enfin, sans parler de l'Euphrate, au cours encaissé et divagant, dont l'utilisation des eaux est conditionnée par une foule de questions dont plusieurs d'ordre international, les eaux de l'Euphrate étant déjà utilisées, en partie, en Mésopotamie, pour l'irrigation, *il serait à souhaiter que reprenant les mêmes données que les romains, nous utilisions l'eau de l'Oronte qui s'écoule jusqu'ici à la mer sans aucun profit.*

Par la création d'une série de barrages sur ce cours d'eau déjà jalonné par les ouvrages datant de l'époque romaine, dont

Dans les pays tropicaux, l'irrigation s'impose encore plus qu'ailleurs, étant donné l'alternance des saisons sèches et humides. Tel est le cas des Indes, par exemple où l'ensemble du réseau d'irrigation a coûté près de deux milliards, mais aussi un seul canal, celui du Chenal, dans le Punjab, a transformé d'anciens territoires de pâture, déserts et improductifs, en une superficie cultivée de 1.200.000 hectares. Cet ouvrage laisse à l'État un profit net de plus de 11 millions de francs et rapporte 23% du capital engagé ; les récoltes qu'il fertilise atteignent une valeur de 100 millions de francs annuellement.

Ce court exposé permet d'entrevoir l'importance que revêt le problème de l'eau dans les pays, qui, comme la Syrie, jouissent d'un climat sec, où les saisons sèches durent de 8 à 9 mois, jusqu'aux semailles et même au-delà. *Dans ces pays une politique attentive et rationnelle doit intervenir pour la solution du problème de l'eau auquel sont liés le développement agricole et l'existence même des habitants.*

Cette situation des pays Syriens (où la stagnation et même la rétrogradation de la richesse, sont le résultat d'une mauvaise exploitation) réclame une attention particulière, car les campagnes se dépeuplent de plus en plus, et déjà dans nombres de régions, l'agriculture est en pleine crise. Comme le pays n'a aucune réserve, il est à la merci de la première disette venue, ainsi que malheureusement le cas se produit les années de sécheresse ou de ce fléau dévastateur des récoltes, le " Souné ".

Pour remédier à cet état de chose, une seule solution peut être envisagée : l'irrigation pérenne. Cette solution nécessite évidemment de gros efforts, de lourdes dépenses et surtout une très grande persévérance, car ce n'est pas en un an ou seulement en plusieurs années comme les habitants de ce pays, peu réalisateurs en général, ont coutume de penser, que de semblables travaux peuvent être exécutés. Tout au plus, pourrait-on

L'importance de la question est telle que l'Etat est intervenu en vue de préciser les droits d'eau et d'empêcher que l'intérêt général du pays ne soit pas sacrifié aux intérêts particuliers. De plus, par le "Reclamation Act" du 17 juin 1902, il est prescrit que tout l'argent provenant de la vente et de l'attribution des terres publiques dans les Etats de la région aride, sera employé à la reconnaissance, à l'étude, à la construction et l'entretien des travaux destinés à emmagasiner, à dériver et à accroître les eaux servant à la mise en valeur des terrains. L'intervention de l'Etat a permis d'entreprendre des travaux que leur ampleur interdisait aux particuliers, témoin le réservoir du Salt River (barrage Roosevelt) dans l'Arizona, dont la contenance est de près de 1600 millions de mètres cubes, avec une hauteur de barrage de 95 mètres. Les procédés employés sont merveilleusement adoptés aux conditions géographiques et l'on recourt, suivant les cas, aux détournements de rivières, au pompage de l'eau, aux grands barrages - réservoirs, aux puits artésiens, etc... Pour assurer à ces travaux un bon rendement financier, l'Etat rachète les grandes propriétés pour les morceler en petits lots, qui assureront une exploitation plus intensive. Dans beaucoup de terres le rendement annuel dépasse à lui seul les frais de premier établissement (1).

En outre, en favorisant le peuplement rural, l'irrigation seule est capable de contrebalancer l'influence exagérée des grands agglomérations urbaines où se concentre la plus grande partie de la population, lorsque les terres sont arides et les récoltes soumises au gré du destin, c'est-à-dire à la sécheresse.

(1) René Tavernier — Mission aux Etats-Unis — Rapport de la Direction de l'Hydraulique et des Améliorations Agricoles. Paris 1909 — Les prix de revient des travaux d'irrigation variaient, à cette époque, de 218 à 828 francs par hectare et la moyenne annuelle de 258 à 487 francs.

En effet, l'eau constitue le facteur essentiel de la végétation et ce qu'il importe le plus, lorsque les pluies sont insuffisantes, est de la distribuer artificiellement. Les anciens connurent de très bonne heure l'irrigation artificielle des terres. Les empires d'Assyrie et de Perse avaient établi de gigantesques canalisations en utilisant les eaux du Tigre et de l'Euphrate. Sémiramis avait tracé cette inscription qu'Alexandre trouva aux frontières de la Scythie : " J'ai contraint les fleuves de couler où je voulais, et je n'ai voulu que là où c'était utile ; j'ai rendu féconde la terre stérile en l'arrosant de mes fleuves".

Cyrus employa son armée à creuser de nombreux canaux ; Alexandre accomplit une œuvre semblable. Jusqu'à l'invasion des Mongols et des Tartares qui détruisirent ces ouvrages, la Mésopotamie était une immense forêt de verdure. L'Égypte, la proche voisine de Syrie, a toujours été un " don du Nil " ; les ingénieurs anglais n'ont fait que transformer l'irrigation temporaire, au moment de la crue, en irrigation pérenne par l'établissement de canaux et de barrages. C'est encore à l'irrigation qu'eurent recours les Romains pour la mise en valeur des territoires conquis par eux.

Au point de vue social, par les soins qu'ils exigent, la réglementation qu'ils entraînent et surtout l'accroissement énorme de rendement qu'ils produisent, les travaux d'irrigation entraînent le morcellement de la propriété. Un exemple frappant en existe en Syrie ; l'oasis de Damas, les jardins de Homs et de Hama, irrigués par les eaux du Barada (Damas) et de l'Oronte (Homs et Hama) appartiennent à une foule de moyens et de petits propriétaires, qui constituent chez tous les peuples, l'élément pondérateur, sage et prévoyant. Dans la zone de terrains arides et semi-arides, qui couvre une bonne partie de l'Ouest des Etats-Unis, l'irrigation produit les mêmes effets, elle multiplie les petites exploitations et pousse à un peuplement rapide

s'ajoutent encore celles d'ordre économique. Toutefois, ce problème nécessite qu'on lui donne toute l'importance qu'il doit avoir dans un pays où la seule richesse est constituée par l'agriculture.

Enfin, il ne faut pas oublier que lorsque dans un pays, le stade de stabilisation administrative et politique est atteint, les affaires se créent et se développent au plus grand bénéfice des populations, dont toute l'activité se porte à ce moment sur les problèmes économiques au lieu de se dépenser en intrigues politiques, dont les résultats sont la ruine et la misère de la population productrice.

*
* *

2.—Une politique de l'eau

L'exposé que nous venons de faire de la situation exceptionnelle que connut la Syrie à l'époque gréco-romaine, fait ressortir l'importance de la question des eaux dans le développement d'un pays.

En agriculture, où on traite les questions plus objectivement que dans les autres matières, car c'est peut être la seule d'entre elles qui ne souffre aucune solution métaphysique, on fait ainsi ressortir le rôle de l'eau :

Soleil + humidité = Végétation

Or, dans les pays, où le climat est caractérisé, comme c'est le cas en Syrie, par un manque de pluies, le problème de l'eau revêt un caractère vital, car c'est de sa solution que dépend le développement économique d'abord, puis social ensuite, de ce pays.

A ce titre, les pays occupés étaient gouvernés par un proconsul, mais ils conservaient leurs libertés religieuses, qui formaient, à cette époque, le plus puissant lien d'attache d'un peuple à la terre où se trouvaient ses Dieux et ses temples.

D'autre part, la nation romaine n'envoyait jamais ses légions dans un pays sans leur adjoindre ses patriciens de famille noble qui étaient tour à tour guerriers, magistrats, consuls, ingénieurs, etc .. et dont le patriotisme et l'amour de la gloire n'étaient dominés que par un seul sentiment supérieur : la crainte des Dieux. Dis te minorem quod gérés, imperas, a dit Horace, voilà ce que c'était le romain qui savait à la fois *dominer et organiser*.

Or, ces deux mots conservent encore à l'heure actuelle leur pleine valeur et, ici, plus encore que dans les autres pays, ils doivent recevoir une consécration toute spéciale, car il faut lutter à la fois contre l'apathie des habitants à tout effort prolongé et contre la nature elle-même. Faut-il pour cela crier à l'impossible et surestimer ces obstacles, je ne le crois pas, et puisque nous parlons des romains, rappelons-nous, à ce sujet, les nobles paroles de Virgile, marquant dans l'Eneide, la lutte d'Enée contre les obstacles élevés par une divinité hostile et la nature malveillante : *Tantæ molis erat romanam condere gentem !* et son triomphe final : *Fata viam inveniunt*.

“Toi, Romain, souviens-toi de soumettre les peuples à ton empire. Ce seront là tes arts : imposer les lois de la paix, *“Parcere subjectis et debellare superbos”*, dit encore Virgile, dont le poème a bercé toute une civilisation.

De tout cela, nous devons conclure qu'on obtient rien sans effort et que le problème de la mise en valeur des pays Syriens exige, avant tout, une grande persévérance, d'autant plus que les difficultés à surmonter sont d'ordres les plus divers, puisqu'à celles d'ordre politique, qui dominent pour l'instant le pays

II. — De quelques particularités de la mise en valeur de la syrie.

“Les discours, les conférences, les lois elles-mêmes sont impuissantes à combattre les nécessités économiques qui étouffent le monde. Il faut s’y adapter ou périr.”

Dr. G. Le Bon

1.— L’apogée des pays Syriens sous la domination romaine.

Les pays Syriens furent autrefois florissants et constituaient un puissant attrait pour les peuples voisins. Les aqueducs, les barrages, les canaux, les fogaras, etc... datant, pour la plupart, de l’époque gréco-romaine, que l’on trouve épars dans le pays, et souvent dans un parfait état de conservation, constituent la preuve la plus tangible de cette richesse, qui s’est effondrée au cours des siècles, à la suite des invasions successives dont la Syrie a été l’objet.

Alors que ces invasions eurent, pour la plupart des fois, comme objet, le pillage et l’asservissement du pays, dont l’appauvrissement et le dépeuplement, toujours plus intenses, correspondent à ces époques, l’occupation romaine fut, au contraire, suivie de l’enrichissement et de la concentration des populations dans les régions agricoles où il fallait un peuple nombreux pour mettre en valeur la terre que l’eau, amenée dans les ouvrages construits par les romains, venait féconder.

Ces faits expliquent la perfection que l’œuvre romaine atteignit en Syrie, mais il faut considérer que lorsque Rome voulait ou devait intervenir dans un pays, sa première préoccupation était de développer sa mise en valeur et de fixer la population autochtone, en lui donnant les moyens de vivre et de prospérer. Ce pays n’entraînait pas, d’ailleurs, dans l’Etat romain, *civitas romana*, lequel ne s’agrandissait pas par la conquête, mais seulement dans la domination romaine in império.

L'usure des reliefs syriens, ne serait, suivant les dires de certains géologues, qu'une question de temps et on peut chiffrer pour certaines montagnes, le nombre de siècles nécessaires à leur disparition par les érosions, sans tenir compte des cataclysmes susceptibles de bouleverser en quelques secondes l'aspect de ce pays, où il semble que les désastres se soient succédés aussi rapidement que le flux et le reflux des invasions humaines, qui vinrent se heurter sur cet hinterland entre les diverses civilisations de l'Orient et de l'Occident.

Toutefois, les grands cataclysmes terrestres sont tellement espacés dans le temps, qu'il nous est impossible de concevoir leur succession et d'en découvrir les raisons, ce qui est d'ailleurs préférable, car s'il en était autrement, notre esprit deviendrait, à juste titre, inquiet, et comme Schopenhauer, nous nous écrierions : " Imagine-t-on un démon créateur, on serait pourtant en " droit de lui crier en lui montrant sa création : Comment as-tu " osé interrompre le repos sacré du néant pour faire surgir une " telle masse de malheur et d'angoisse ".

A quelque chose malheur est bon, dit-on ; cela est vrai, car grâce à la lente décomposition des trachytes et des basaltes, quelques plaines Syriennes — et la Bukeia en est un exemple frappant — jouissent d'une fertilité rare. D'autres plaines formées d'alluvions, comme la Vallée du Ghab, la plaine de l'Amouk, etc... sont également propices à un développement considérable, mais pour cela il doit être procédé à des travaux d'assèchements et d'irrigation, dont l'exposé, en ce qui concerne cette dernière région, fait précisément l'objet du présent rapport.



bles" aux tremblements de terre et son histoire n'est qu'une suite de cataclysmes, dont le dernier (destruction d'Antioche (1) remonte à un demi siècle (1872).

En effet, les pays syriens sont situés sur deux grandes courbes sismiques correspondant aux lieux de plus haute fréquence des tremblements de terre et des phénomènes qui s'y rattachent. L'une de ces courbes arrive d'Amérique (où elle intéresse à la fois le plateau de l'Amérique Centrale et les Cordillères de Bolivie et du Pérou) et traverse l'Atlantique au long des gouffres (où s'effondra dans les temps légendaires l'Atlantide de Platon) et la Méditerranée entre l'Afrique et l'Europe (où disparue la "Thyrrhénide") pour venir rencontrer en Asie mineure, au Nord des pays Syriens, l'autre courbe sismique orientée approximativement Sud-Nord, qui est jalonnée en Syrie par l'effondrement de la mer morte, de la Vallée du Jourdain, de la Plaine de la Békaa, etc.... et qui coïncide avec la zone volcanique s'étendant de l'Arménie aux sources du Nil.

Le relief des pays syriens accuse d'ailleurs, comme il a déjà été exposé, des saillies encore "fraîches" qui marquent que la "sculpture hydrographique" est à sa période primitive et que les formes orogéniques ne sont pas encore arrivées à leur "stabilisation" ou autrement dit à leur maturité. Et la terre se tasse, frémit, tremble, ce qui occasionna déjà des désastres immenses au cours des siècles et laisse subsister une lourde angoisse sur l'avenir, étant donné que nous sommes encore sous le coup des dislocations qui ont donné à la surface du globe son aspect géographique général vers la fin de l'ère tertiaire et que les mouvements du sol ne peuvent être considérés comme arrêtés.

(1) Antioche fut détruit plusieurs fois au cours des siècles, notamment en 447, 458, 494, 525 et 528. Au cours de cette dernière année, les tremblements de terre auraient fait plus de 12.000 victimes à Antioche et dans d'autres cités syriennes.

Comme les pays limitrophes à la Méditerranée, l'histoire orogénostique de la Syrie se rattache aux effondrements qui ont formé la Méditerranée, dont celui de la "Thyrrhénide" marque la principale phase. Les traces de ces engouffrements se trouvent d'ailleurs nettement marquées le long des côtes syriennes, notamment au Nord, où l'arc formé par la chaîne de l'Amanus qui appartient aux plis tauriques vient se terminer abruptement dans la mer, pour réapparaître dans les îles de Chypre, de Crète, etc...

Ce cataclysme plutonien appartiendrait au vestibule des époques historiques ; il a laissé des preuves dans les volcans éteints de la Syrie que l'on retrouve à l'Est du lac de Tibériade dans le Hauran, où on peut suivre l'évolution des cratères à travers le temps et dans la trouée de Homs, où le bassin de la Bukeia n'est qu'un vaste cratère. Les dislocations de l'écorce terrestre sont, d'ailleurs, en rapport étroit avec l'activité volcanique. C'est à elle que sont dûs les reliefs des plateaux situés à l'Est du Jourdain et le Djebel Huran même (Djebel Druze). L'effondrement transversal de la chaîne montagneuse côtière, dans la région de Homs (trouée de Homs) est dû également à un cataclysme d'origine volcanique.

Quant au sous-sol, celui-ci est formé de strates d'origine sédimentaire, déposé par les mers de l'époque secondaire, n'ayant subi aucun plissement caractéristique, mais, qui, dans l'ensemble s'inclinent vers l'Est ou vers l'Ouest, de part et d'autre du grand sillon médian, formé par l'effondrement terrestre déjà décrit, qui remonte à la fin de l'ère tertiaire et au début de notre ère. Les bords rectilignes des vallées du Ghor, du Ghab, etc... sont la trace des plans de faille, suivant lesquels s'est engloutie toute une bande longitudinale de l'écorce terrestre.

A ce sujet, il est utile de rappeler que la Syrie se trouve comprise dans une des parties du globe terrestre les plus "sensi-

La plaine de l'Esdreton, située dans les territoires sous mandat anglais, (Palestine), s'ouvre sur le golfe de Saint-Jean-d'Acre et communique avec la Vallée du Jourdain.

La trouée de Homs est constituée par une vaste depression entre les derniers contreforts du Liban et ceux du massif des Ansarieh, elle s'ouvre sur la plaine d'Akkar et communique avec le petit bassin de la Bukeia et la région de Homs.

Le couloir d'Antioche constitue un étroit passage faisant communiquer l'ancien port de Soueidié, aujourd'hui abandonné, avec Antioche et les riches plateaux du Nord de la Syrie. Les eaux de l'Oronte s'écoulent par ce couloir vers la mer.

b) — L'effondrement terrestre, qui forme une sorte de vaste fossé longitudinal à travers la Syrie, est jalonnée par la mer morte, dont le fond est à 700 mètres au-dessous du niveau de la mer Méditerranée, la Vallée du Ghor et du Jourdain, le lac de Tibériade (—210) la petite plaine du Houlé, la plaine de la Békaa, la Vallée de l'Oronte, la Vallée du Ghab, la cuvette de l'Amouk et la Vallée du Kara Sou.

c) — La chaîne de montagnes située à l'Est de cet effondrement est formée par les collines et les massifs du Moab, d'Adjloun, de l'Hermon et de l'Anti-Liban.

Le relief de toutes ces montagnes est accentué, les vallées y sont étroites et les gorges serrées et profondes, ce qui dénote que la formation orogénique du pays est relativement récente. La netteté et la brutalité des cassures marquent bien d'ailleurs cette relative contemporanéité et le peu d'avancement du travail des eaux sur le relief, n'est qu'une preuve de plus de la jeunesse de cette formation que des auteurs font remonter à une époque postérieure aux soulèvements alpestres.

TITRE PREMIER

Aperçus Généraux sur la Syrie

I. — Considérations Générales sur l'orogénèse des pays syriens.

“ Le monde est-il réel ou irréel, fini ou infini, créé ou incréé, éphémère ou éternel ?
“ La science n'entrevoit pas le moment où elle pourra répondre à une seule de ces questions ”

Dr. G. Le Bon

La Syrie forme sur le littoral oriental de la mer Méditerranée, un pays dont l'orologie constitue un système particulier qui est caractérisé dans la région côtière, par une vaste chaîne montagneuse, orientée approximativement Sud-Nord, surplombant, à l'occident, la mer et, à l'Orient, un véritable effondrement terrestre, à l'Est duquel s'élève une seconde chaîne de montagnes ayant le même orientation que la première, mais bien moins importante quand à son étendue. Plus à l'Est, l'arrière pays forme un immense désert qui s'étend jusqu'à l'Euphrate et la Mésopotamie.

a) — La chaîne montagneuse s'élevant sur la côte, est formée, du Sud au Nord, par les montagnes de la Judée, de Samarie, de Galilée, du Liban, des Ansarieh et de l'Amanus. Trois couloirs transversaux correspondant à des accidents tectoniques du même genre que l'effondrement longitudinal, mais plus anciens, s'ouvrent sur l'intérieur et constituent des communications naturelles entre le littoral et l'arrière pays ; ce sont : La plaine de l'Esdrelon, la trouée de Homs et le couloir d'Antioche.

C. Duraffourd

Ministre du Commerce National Français de l'Industrie et de l'Énergie
Chargé de l'Administration des Travaux de l'Énergie et de l'Industrie
Ministre des Travaux Publics, de l'Énergie et de l'Industrie

NOTICE

Sur l'évolution des Pays Syriens
et le Problème de l'Eau en Syrie.

(Extrait du rapport de Monsieur C. Duraffourd
au II^e Plan de l'AMON)

Sommaire

- I - Considérations générales sur l'évolution des pays syriens.
- II - Les questions techniques de la mise en valeur de la Syrie.
 - a) - L'énergie des pays syriens sous la destination variée.
 - b) - Une politique de l'eau.

Septembre 1938

C. Duraffourd

Membre du Comité National Français de Géodésie et de Géophysique
Chargé de l'exécution des travaux du cadastre et d'amélioration
foncière des Etats de Syrie, du Liban et des Alaouites

NOTICE

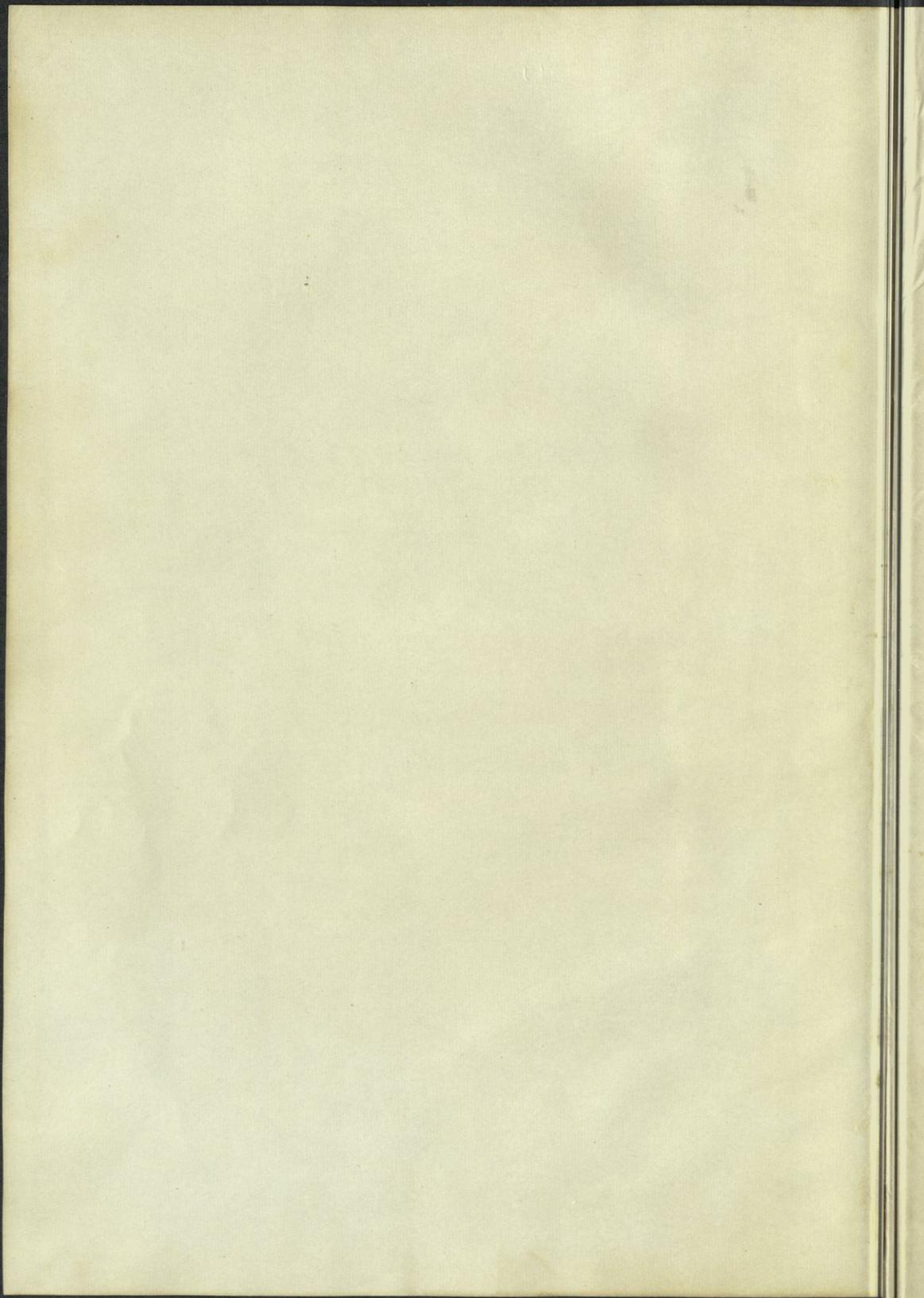
**Sur l'Orogénèse des Pays Syriens
et le Problème de l'Eau en Syrie.**

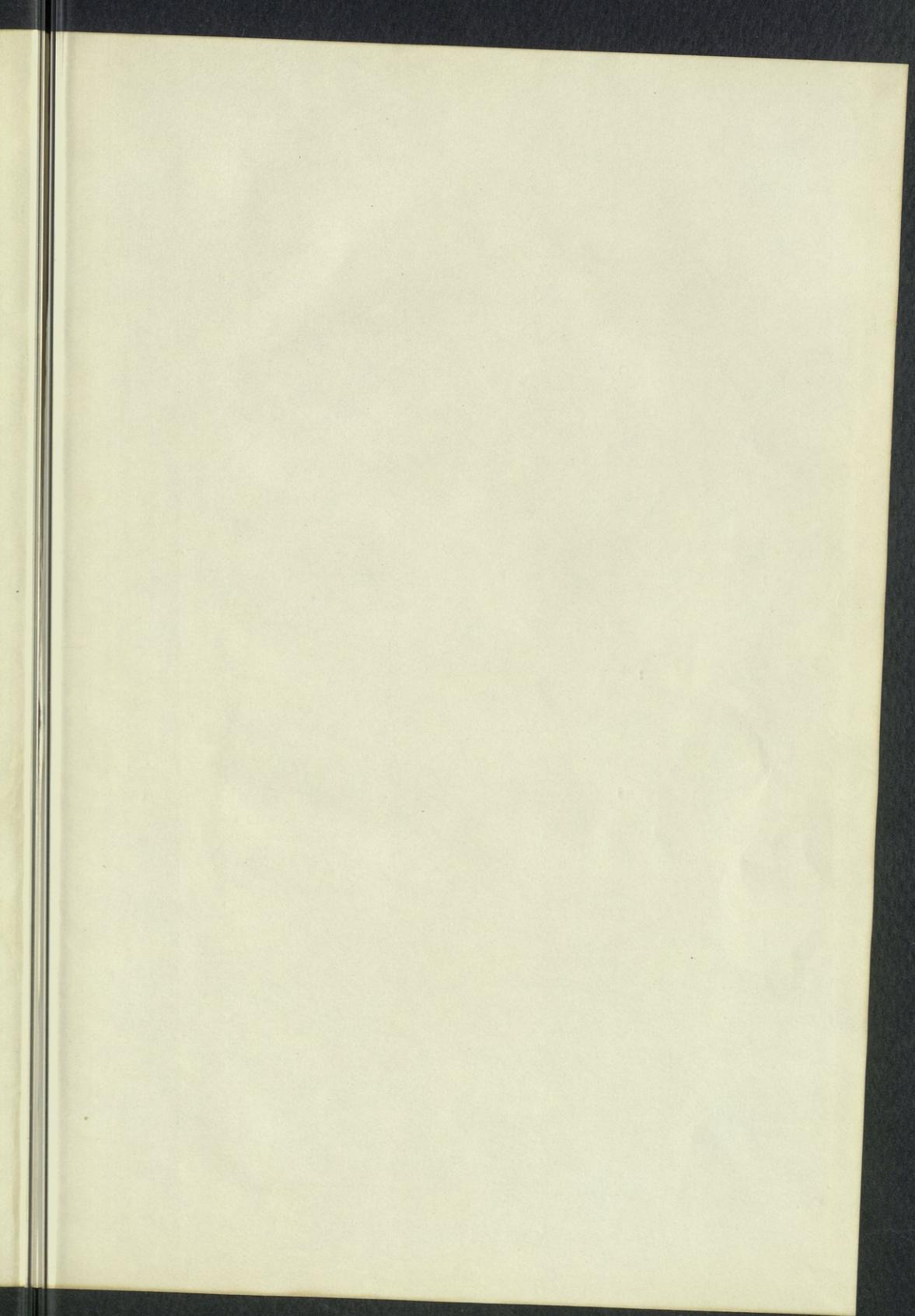
(Extrait du rapport de Monsieur C. Duraffourd
sur la Plaine de l'Amouk)

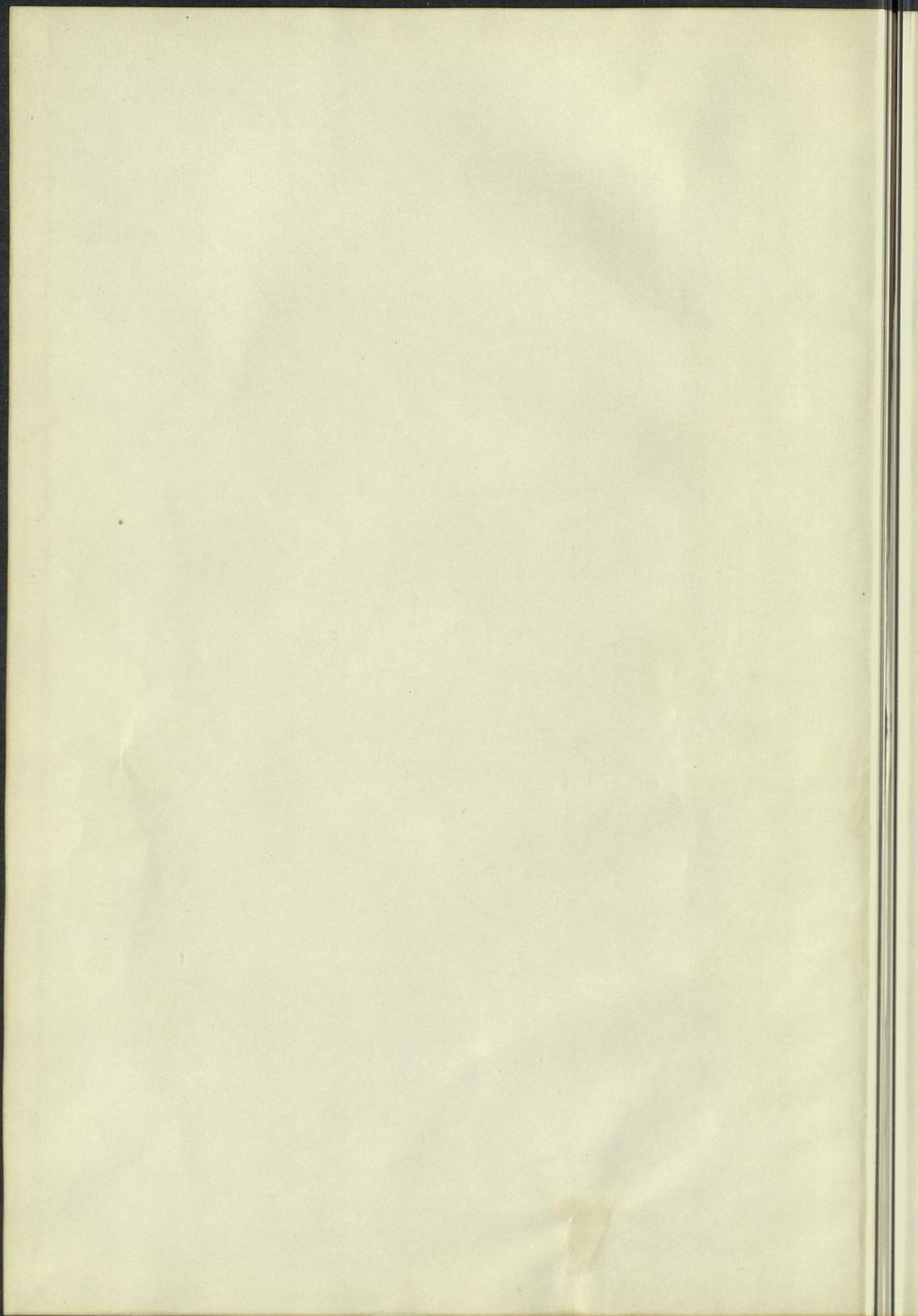
Sommaire

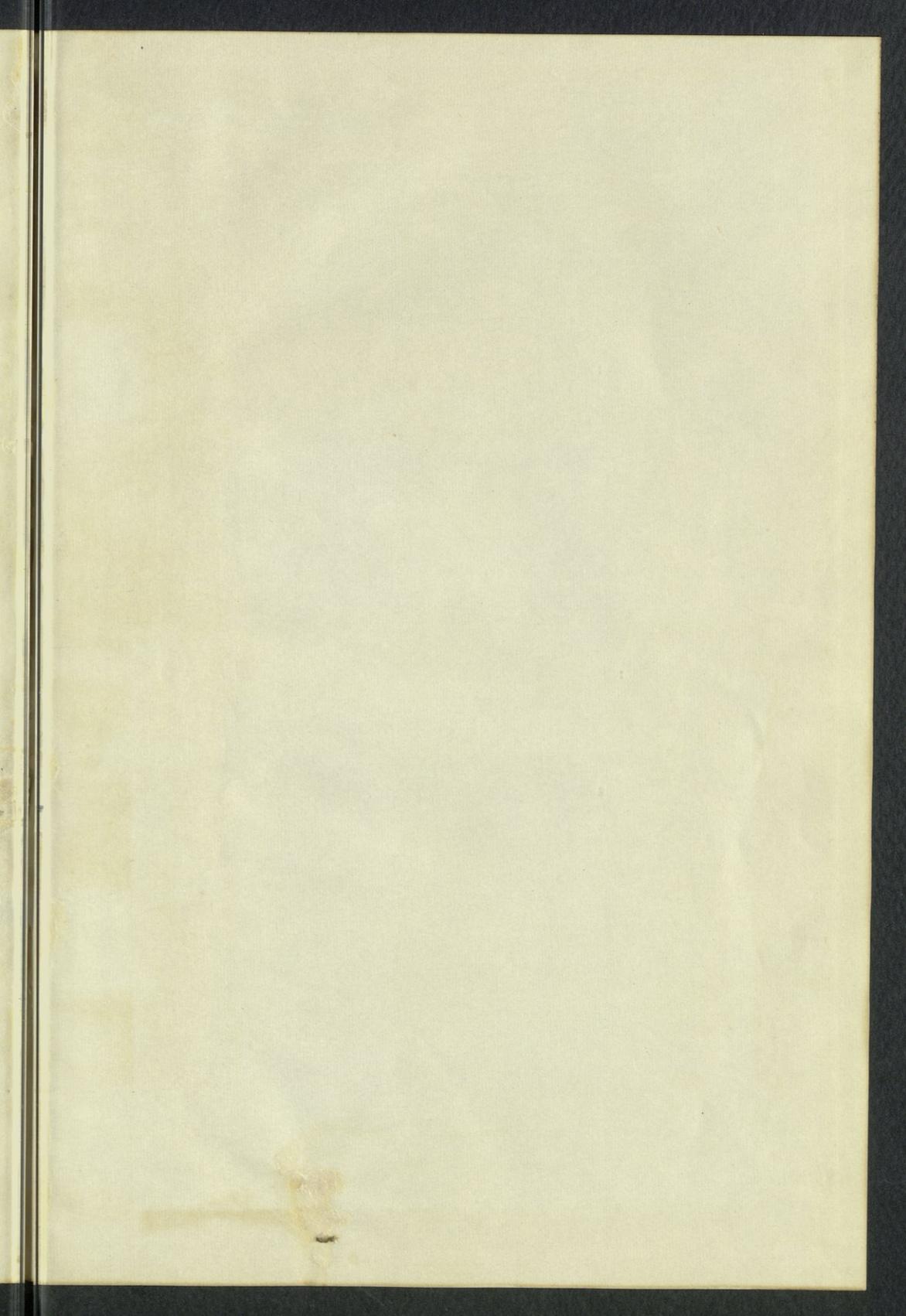
- I. — *Considérations générales sur l'orogénèse des pays syriens.*
- II. — *De quelques particularités de la mise en valeur de la Syrie.*
 - a) — **L'apogée des pays syriens sous la domination romaine.**
 - b) — **Une politique de l'eau.**

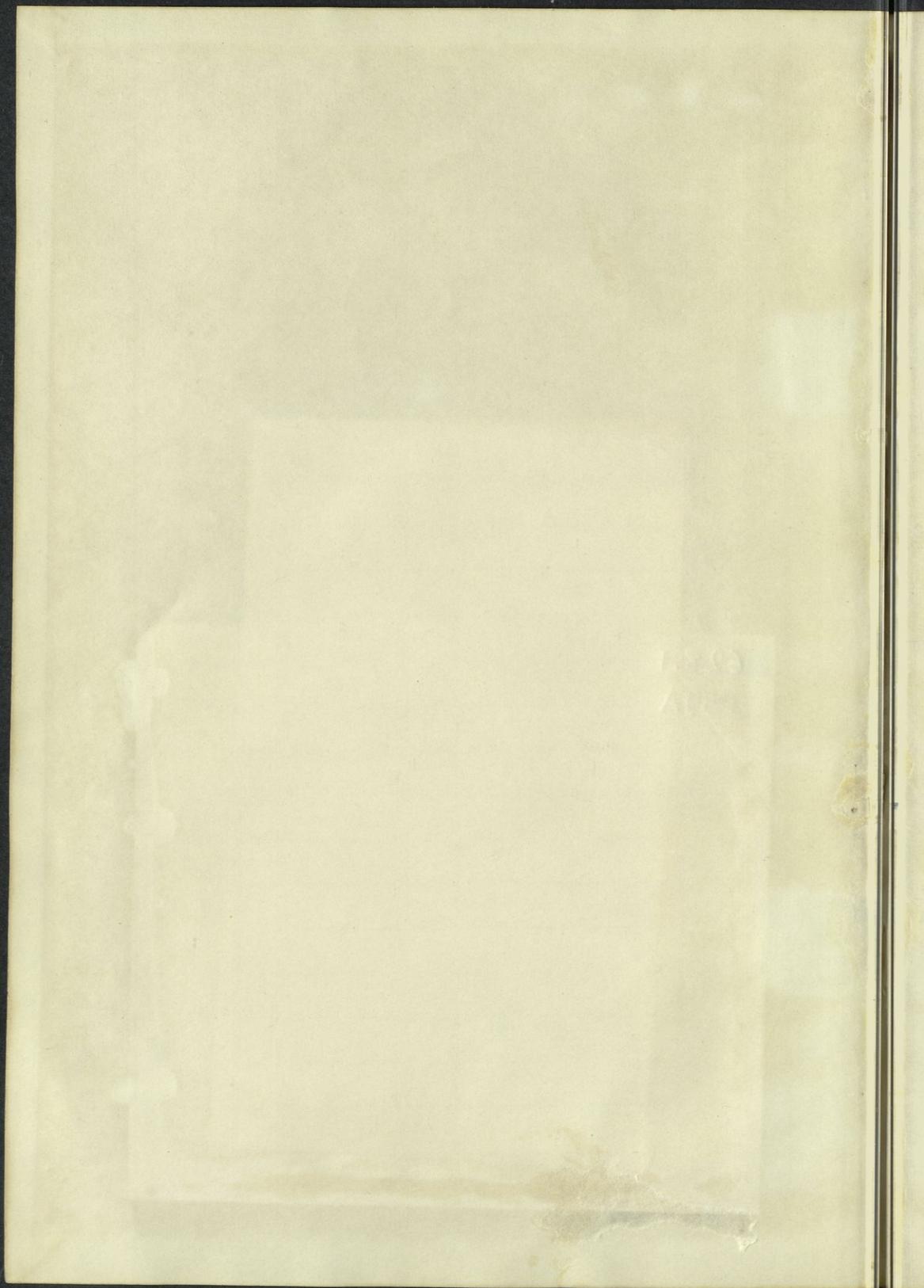
Septembre 1928











CA

~~25.1.1959~~

ديرافوره ص.

نبذة عن تاريخ البلاد السورية ...

~~A6281~~

~~D59A~~

~~Jun 64~~

~~1 - Oct 67~~

~~J. LIB.
29 Oct 1991~~

JAFET
* 21 MAR 2005 *
Circulation Dept. 3

JAFET
* 23 MAR 2005 *
Circulation Dept. 3

ديراهور، بن.
نبدّة عن تاريخ البلاد السورية وعن اهم
AMERICAN UNIVERSITY OF BEIRUT LIBRARIES



01023752

CA
628.1
D59 nA